مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 64 السنة: 2022

الشعر الشعبي.. الوجه الآخر للكفاح الثوري – نماذج من شعراء جمورة

Popular poetry – the Other Face of Revolutionary combat models from Djamoura poets

د. رياض بن الشيخ الحسين[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
r.bencheikh@hotmail.com

تاريخ الوصول 2022/01/18 القبول 2022/01/26 النشر على الخط 2022/03/15
Received 18/01/2022 Accepted 26/01/2022 Published online 15/03/2022

ملخص:

نحاول في هذا المقال أن نكشف عن دور الشاعر الشعبي زمن الثورة الجزائرية، في تحريك و توجيه الثورة نحو الكفاح ضد الاستعمار ، بالعمل على إلهاب مشاعر أفراد الشعب، عندما سكت صوت القصيدة الفصيحة، بفعل الاضطهاد و العسف ضد اللغة العربية وهدم مراكزها و التنكيل بمعلميها، بغرض تجهيل الشعب، و إبعاده عن مصادر هويته، كما كان خير وسيلة للتواصل و نقل المعلومة التي تخدم الثورة، و تعزز الالتفاف حولها، و خير مؤرخ للأحداث الدامية، التي تقع بين جنود الاحتلال و المجاهدين، فإلى أي مدى استطاع هذا اللون من الشعر، تعويض الشعر الفصيح، و القيام بدور الريادة و القيادة التي يفترض إسنادها لنخبة الأمة .

الكلمات المفتاحية: الشعر – الشعبي – الفصيح – الثورة – جمورة

Abstract:

In the present paper we will try to reveal the role of popular poet during the Algerian Revolution in motivating and orienting the Revolution to ward the struggle against colonialism by inciting the emotions of Algerian people when the voice of the eloquent poem was silenced by persecution and abuse made against Arabic language by destroying its centers and torturing its teachers to spread ignorance amongst people and make them a way from its identity .That type of poetry was the best way to communicate and transfer information that serves the revolution and to reinforce the detour around it, and the best chronicler of the bloody events that look part between the colonial troops and the "Moudjahidines " Fighters. So, to what extent could this type of poetry replace the eloquent one play the role of the leadership that is supposed to assign it to the elite of the nation.

Keywords: poetry – Popular- eloquent- Revolution - Djamoura.

[1] المؤلّف المرسل: **د.رياض بن الشيخ الحسين** البريد الإلكتروني: **r.bencheikh@hotmail.com**

مقدمة :

حين سكت صوت القصيدة الفصيحة (الرسمية) أيام الاحتلال الفرنسي، لما حوصرت اللغة العربية وأريد اقتلاعها من منابتها، وغلقت مراكزها، ولوحق معلموها، كانت القصيدة الشعبية (الملحونة) المعبر الأمين عن أبعاد المأساة. وحين نتخذ هذا اللون من الأدب الشعبي (الشعر) وريثا لسميه الفصيح، فإننا نجد فيه من الأصالة والعمق والصدق موضوعا، ومن الشفافية والتماسك والرونق أسلوبا، أي ما قد لا نجده في الشعر الجزائري بلغته الفصحى. وكما عبر الشعر الفصيح عن واقع المجتمع الجزائري فوصف أفراحه وأتراحه، فقد كان الشعر الشعبي خير بواح عن حاجات وخلجات الطبقة الشعبية المسحوقة، ورغم بساطته فقد ظل أدبا قوميا ووطنيا يقوم بدور هام في الذود عن الشخصية الوطنية العربية والإسلامية، ويواجه الضربات الاستعمارية التي حاولت عبثا، دك أسس العقيدة الإسلامية التي تحصن بها الشعب، فكان منافحا ومحرضا وملهما في ميدان الجهاد والتضحية، مثلما كان مفصحا عن تطلعات وآمال وأفكار وعادات الطبقة التي ينتمي إليها، وممثلا لحالتها الاجتماعية تمثيلا صحيحا[1]، ومن هذا المنطلق كان الشعر الشعبي (الملحون) الجزائري يحمل في مضمونه الأحداث التاريخية الجزائرية، وينقلها في تصوير خيالي شعبي صادق مدثر برداء البطولة والتضحية، ومترجم لأحاسيس الحرية والعزة التي تختلج في نفوس الأفراد والمجتمع الجزائري، لاسيما عندما يسترفد الشاعر نصه بالنص القرآني الذي تتأسس عليه عقيدة الجماعة، أو الاتكاء على أي أثر ديني أو تاريخي آخر يشكل قناعة وإيمان هذه الجماعة، كقيم البطولة والشجاعة و المروءة والشهامة... وغيرها التي تحلى بها صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام والتابعين، يسوقها الشاعر لتبقى حاضرة في ضمائر الأفراد من ناحية، وتكون الشحنة المتقدة التي تدفعهم إلى تحقيق القيم الرفيعة، والذود عن شخصيتهم الأصيلة، وعدم الرضوخ والذوبان في شخصية الآخر (المستعمر) من ناحية ثانية، فلم يكن الشاعر الشعبي الجزائري إذن مجرد مصور لواقع الطبقة الشعبية التي ينتمي إليها فقط، بل أن رؤيته بعيدة المدى، إذ الهدف الأسمى عنده، هو الحفاظ على مقومات شخصيتها التي أريد طمسها أو مسخها، وإيقاظ وعيها بضرورة التصدي للهجمات التي تشن ضدها، وخاصة اللغة العربية وعلومها التي تعرضت للمحاصرة والتضييق وأريدَ لها أن تكون غريبة، حينما لجأ المستعمر إلى غلق المساجد والزوايا، التي كانت تعلم العلوم العربية، وتعرض العلماء والأدباء إمّا إلى القهر والتنكيل واضطرارهم إلى الهجرة، وإمّا إلى الصمت والإقامة الجبرية أو القتل، وصار تعليم اللغة الأم بمثابة الجرم الذي يعاقب عليه القانون[2].

وقدّر للشاعر الشعبي أن ينفلت من قبضة السلطة الطاغية، ويتولى زمام الأمور، لأنه لم يعرف بانتمائه إلى مؤسسة معينة ولم تكن له مدرسة يعلّم فيها الناشئة، فيخشى غلقها ومصادرتها، إنما كان حرّا طليقا بعيدا عن الرقابة ينتقل ما بين الأرياف والنجوع، ينشد شعره الذي يروي بطولة المجاهدين، ويحظ المتلقين على الجهاد والفداء، وينقل لهم أخبار إخوانهم المضطهدين[3].

---

[1] – التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945م)، ش.و.ن.ت.الجزائر، 1983، ص62.

[2] – عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ط1، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م، ص326-327.

[3] – التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، ص94.

1- دور الشاعر في شحذ همم الشعب :

رافق الشاعر الشعبي الجزائري كفاح ونضال الشعب وسجل حضورا قويا في حركات التمرد على المحتلين والغزاة منذ القديم، لأنه لم يكن ناقلا ومصورا للأحداث ومؤرخا لها فقط، بل كان مسهما في إشعال فتيلها وإلهاب عزائم الأفراد لخوض المقاومة ضدهم، لأنه كان يعتقد مثل أبناء طبقته أن العقيدة الإسلامية التي تشكل هوية الشعب والوطن هي المستهدفة، وبهذا المفهوم صار الجهاد في سبيل الله فرض عين، يوجب على كل جزائري أن يتصدى لحملة التغريب المنتهجة من قبل المستعمر، لذلك كان دور الشاعر في الواقع متعدد المهام لأنه من طينة الكبار، فقد كان شاعرا وجنديا وموجها في آن، يتشرب مادة نصه من تعاليم الدين الإسلامي، ومن إيمانه العميق بدينه وبأصله المتنوع المتشكل من العروبة والإسلام، ولذلك نجده دوما يبني رؤيته للحاضر واستشراف المستقبل، على الربط بين مجد ماض يطفح بالبطولة والعزة والسؤدد وحاضر ليلي مفعم بالظلام والحلكة، فيجد نفسه تواقا إلى استرجاع ذلك الزمن الماضي، ليكون له ولشعبه حافز للاستماتة في طلب العزة والكرامة، ومما زاد في عمق هذه الرؤية، مشاركته الفعلية في مجابهة المستعمر بالسلاح رفقة إخوانه من المجاهدين، فيصدر في شعره عن إحساس ثائر صادق من خلال احتكاكه بالواقع المؤلم ذي الجرح الغائر.

كما كان الشاعر الشعبي موجها حينما كان يشحذ الهمم ويوقظ الأحاسيس عندما يتغنى بقصيدته أثناء المواجهة المباشرة مع العدو، أو عندما يكون متجولا بين الأهالي ناقلا أخبار الأحداث الثورية في القرى والمداشر، قائما بدور إعلامي مهم معوضا وسائل الاتصال الغائبة أو المنعدمة، حيث كان يرصد مختلف الأحداث التي تشهدها الجماعة التي ينتمي إليها، بسبب الحصار والرقابة والعزلة المفروضة عليها فكان نعم الإعلامي الأمين والمؤرخ لوقائع وحيثيات هذه الأحداث، فيصورها ويعبر عنها بمكنة واقتدار، وبمنتهى الصدق وبأسلوب تسوده الموعظة والعبرة والحكمة، من أجل إقناع وإرشاد المتلقين إلى الطريق الصواب.

هكذا كانت دوما علاقة الشاعر الشعبي الجزائري زمن الاحتلال والثورة التحريرية الكبرى بشعبه وبأمته، يسهم في تنظيم الصفوف وتهيئة النفوس وتضافر الجهود للكفاح ضد الطغاة المحتلين، وبالتضامن والاتحاد والمشاركة بالنفس والنفيس لتقوية عضد المقاومة ونصرتها، ويشهد المشتغلون بالبحث والدرس للأدب الشعبي الجزائري من الجزائر ومن المغرب والمشرق العربيين وكذا من الغرب أيضا، أن القصيدة أسهمت فعلا في إضرام نار الثورات وظلت تتغنى بالأبطال والانتصارات وتتجاوب مع الأحداث الكبرى التي مرت بها الجزائر سواء من خلال المشاركة الفعلية أو التصوير والتخليد[1]. وقد اطلعنا بالفعل على عدة قصائد تؤرخ للمقاومات الشعبية الجزائرية التي تقبع في الذاكرة التاريخية وهي كثيرة، مثل مقاومة الأمير عبد القادر والمقراني والشيخ الحداد والشيخ بوعمامة وأولاد سيد الشيخ... وغيرهم ومن هؤلاء الشعراء نذكر: عبد القادر الوهراني الذي كتب قصيدة مطولة مشهورة تحمل عنوان: "دخول الفرنسيين"[2]، يؤرخ فيها لسقوط مدينة الجزائر على يد المحتل الفرنسي، فيحرض الشعب لمقاومته، ويدعوهم للجهاد في سبيل الله، نظم هذه القصيدة سنة 1846، يقول فيها:

- **الأيام يا خواني تتبدل ساعاتها والدهر ينقلب ويولي في الحين**

---

[1] – عبد المالك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2003، ج1، ص85.

[2] – عبد القادر الوهراني: قصيدة دخول الفرنسيس، مجلة آمال العدد4، نوفمبر، ديسمبر، 1969 الجزائر، ص74.

بعد كان سنجاق البهجة ووجاقها الأجناس تخافها في البر وبحرين
أمنين راد ربي ووفى ميجالها واعطاوها أهل الله الصالحين
الفرنسيس حرك لبها وخذاها لا هي ميات مركب لا هي ميتين
بسفاينو يفرص البحر قبالها كي جا من البحر بجنود قويين
غاب الحساب وادرك وتلف حسابها الروم جاو للبهجة مشتدين
أهنا الناس تظهر وتبان اخبارها موت الجهاد خير من اللي حيين
حور الجنان راها تزغرت بأصواتها أبواب النعيم للأمة مفتوحين
الموت لازمتنا واحنايا زادها والصبر لاتكونوشي خيفانين[1]

ونذكر أيضا الشاعر ابن صحراوي يمدح الأمير عبد القادر فيصف حسن بلائه في مقارعة العدو وشدة بأسه وإقدامه في ساح الوغى فيقول في أحد نصوصه:

ابن محي الدين رايس ذاك الجيش الزين
زهو الداريين واعطاهم رب العليا
فارس الأعراب بالسيف يقلب تقلاب
قاطع الأرقاب القوم النصرانية[2]

ويتحول البطل الجزائري المقاوم إلى رمز للقوة والبطش المسلطين على الأعداء، فيصير بما يضفيه الشاعر عليه من أوصاف خارقة، شخصا خياليا وأسطوريا، يتلاءم مع أفق انتظار المتلقي ويتناسب مع المستوى الذهني الشعبي، فيصور الشاعر الشيخ بوعمامة مثلا في شخصية مخلص لا يقهر، يأتي ليخلص الشعب من البلاء الذي حل به، ويثير الرعب في الأعداء فيقول:

الشيخ بوعمامة حرك تحريكتين طيح ميتين
الشيخ بوعمامة حرك تحريكتين نشهم كي الذبان
الشيخ بوعمامة يا هراس القرون ويا دمار العديان[3]

وينشد أيضا أحد الشعراء نصا يمتدح فيه القوة والبطولة التي يتفرد بها بوزيان قائد المقاومة الشعبية في منطقة بسكرة فيقول:

هذا الرومي جا علينا يدور يرفد بو زيان
بوزيان راه واعر ماهوش مهمول للخزيان
عندو صرب في الشانة وأهلو كاملة شجعان

---

[1] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] – التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، ص134.

[3] – انظر عبد القادر خليفي: الشعر الشعبي البطولي ودوره في وحدة المجتمع الجزائري، أعمال الملتقى الوطني الموسوم: مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية. تيارت 13 – 14 أكتوبر 2002، إصدارات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص147.

غير اللي راشق ازويجة طبنجة بالفضة والمرجـان[1]

ونعثر على الشاعر الشعبي محمد بن قيطون يفتخر بقومه البوازيد ويعلي شأنهم بين الأعراش البسكرية وينشر بسالتهم بين القبائل، مقتفيا أثر الشعراء القدماء، ويعتز بانتسابه إليهم فيقول:

أنتم ريشي باش نطير بالجنحاني وأنتـم سيــفي للكفــار مهند

وأنتم سلاحي للي جا عــاداني وأنتم درعي وأنتم سور مايتهـد[2]

ويستمد الشاعر الشعبي الجزائري الدور العام الذي يضطلع به، خلال تاريخ الاحتلال إلى مرافقة الثوار في ثورة التحرير بالعزيمة والصدق نفسيهما.

وهذا ما يحدو بنا إلى الحديث عن جانب هام من الثورة الجزائرية في إقليم بسكرة، وفي منطقة جمورة بالذات، حيث تمثل إحدى القلاع البسكرية التي شهدت عدة عمليات عسكرية لجيش وجبهة التحريـر الوطني من نـاحية، وأهم الأحداث التي شهدتهـا المنطقة والحديث عن دور الشــاعر الشعبي في تصوير وإذكاء روح الجهاد في نفوس مواطنيها لكننا قبل التوغل في هذا الموضوع نعتقد أنه لزاما علينا أن نجري إحاطة بالبعد الجغرافي والتاريخي للمنطقة، ليسعفنا في فهم العوامل المهيئة.

2 – جمورة طبيعيا:

المتأمل في الموقع الطبيعي لجمورة، سيدرك حتما أن لها من موقعها الجغرافي نصيبا من التحصن والمنعة، هاتان الصفتان اللتان تتميز بهما سلسلة جبال الأوراس الممتدة إلى ناحية بسكرة والزاب الشرقي[3]. فتشمل جمورة التي تلوذ بهذه الجبال الراسية والصامدة، وتنفتح على بسكرة (عاصمة الزيبان) شمالا، فتؤمن لها التواصل مع الحضر في مدينة بسكرة العاصمة، أو في غيرها من المدن الأخرى كباتنة وقسنطينة مثلا، وسكانها كغيرهم من سكان القرية والريف بصفة عامة، "هم الذين أعطوا للنص الشعبي الوطني والتحرري كل اهتمام"[4] لأنهم كانوا الأكــثر علاقة مبــاشرة بالثورة التحريرية، وسكــان المدينة في الأصل كانوا يفضلون الحياة البدوية على الحياة المدنية لقلة أو انعدام أسباب الارتزاق الميسرة مثل: تربية المواشي والفلاحة بالريف، ولذلك كان استقرارهم بالمدينة موسميا. **3– جمورة تاريخيا:**

أهّل الموقع الجغرافي والطبيعي لجمورة –باعتبارها واسطة العقد، إذ تتوسط ولايتين تاريخيتين باتنة وبسكرة– بأن يكون لها دور هام في تسيير وتحريك الثورات ضد المحتل الفرنسي منذ بداية وجوده بالجزائر أي منذ اندلاع أول ثورة شهدتها المنطقة وهي ثورة الزعاطشة سنة 1849 التي لقيت مساندة ودعم عدد من الأعراش ومنهم أولاد زيان بزعامة الشيخ ابن الجودي الجموري، وكذا المشاركة في الإعداد للثورة على المحتل سنة 1859 بدعوة من الشيخ سيدي محمد الصادق بلحاج، وثورة البوازيد سنة 1876

---

(1) – انظر جلول يلس– الحفناوي أمقران: المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، ش.و.ن.ت، الجزائر 1975، ص17.

(2) – أحمد أمين : صورة مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري، دار الحكمة، الجزائر 2007، ص111.

(3) – جلول مكي: تطور ولاية باتنة مابين 1962و1978، مجلة الأصالة، عدد 88،87/1980، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ص115.

(4) _ العربي دحو: الشعر الشعبي في الجزائر: النشأة، المضمون، البناء، مطبعة نوميديا، ط2015/3 قسنطينة. الجزائر، ص22.

بواحة العامري– لغروس، والمساهمة في انتفاضة 1916 التي أعلن فيها الجزائريون التمرد والرفض المطلق للتجنيد الإجباري، والإسهام في العديد من المواقع والمعارك الحربية ضد المستعمر إبان الثورة التحريرية 1954–1962 التي حدثت بمنطقة جمورة وراح ضحيتها حوالي 334 شهيدا[1].

4 – جمورة ثقافيا:

جمورة منطقة الزوايا والجوامع التي تقتفي أثر الطريقة الصوفية الرحمانية المهتمة بنشر الدين والعلم وقد أنجبت عددا كبيرا من العلماء ورجال الصوفية الذين أسهموا إسهاما جليا في تعليم النشء وربطهم بعقيدتهم وتراثهم الأصيل، والمحافظة على أصالتهم، وقد ترك منهم البعض بعد قضاء نحبه العديد من المؤلفات وذخائر الكتب والمخطوطات التي نسخوها أو اقتنوها لتتشرب من نبعها الصافي وتنهل من معينها العذب الأجيال المتوالية، ومن آثارهم أيضا بعض الرسائل المخطوطة المتنوعة المواضيع، فمنها ما كان إخوانيا يوضح العلاقة القائمة بين المشائخ مثل الرسالة الموجهة إلى الشيخ مسعود ريقط، وأخرى موجهة من الشيخ أحمد ريقط إلى والده مسعود، وأخرى موجهة من ابن بعيبش إلى الشيخ محمد بن حمزة، وهناك رسائل علمية هي عبارة عن منظومات تعليمية في العقيدة والفقه و غيرهما[2] وقد قام بالترجمة لهؤلاء الشيوخ وأعلام المنطقة المهتمين علي ولزهر غالم في مؤلفهما، "أعلام وشيوخ من جمورة" حيث شمل ذلك خمسين (50) شخصية ذكر منهم الفقيد الكاتب الناقد الجزائري عبد الله ركيبي المتوفى في 20 أفريل 2011[3]، والسفير الهاشمي قدوري، عمل سفيرا للجزائر في عدة دول عربية المتوفى في 21 سبتمبر 2010.

وما تجدر الإشارة إليه أن المنطقة مثل بقية المناطق الجزائرية وكبقية المجتمعات المغربية والعربية، اهتمت بالتراث الشعبي الذي يعكس طموحات وآمال وأحلام وآلام الطبقة الشعبية، انطلاقا من عقليتها البسيطة والساذجة أحيانا، لكنها مبطنة بالحكمة والتبصر والتجربة العميقة، والمعرفة المحيطة بأسرار الحياة، ومكتنزة بالسريرة الصافية والنوايا الحسنة وحب الخير ونشر الفضيلة والسلم والتسامح بين كل الناس، وكره الشر والفساد في الأرض، وقد اجتهد الباحثون والمشتغلون بالتراث الشعبي لجمورة، بجمع عدد معتبر من التراث الحكائي، الدال على محاكاة الإنسان الجموري والفنان خاصة للحكايات والقصص الشعبية، ونقلها عن طريق الرواية الشفهية إلى المجتمع الجموري، بعدما أضفى عليها طبيعته الخاصة وألبسها رداء المنطقة، حتى أصبحت تبدو للمتابع والمهتم وكأنها ولدت من رحمها[4].

كما تزخر جمورة بالأشعار الشعبية التي يتغنى بها، ويتعارف عليها أنها أغان تتضمن عموما الإشادة بالجهاد وتحفيز الناس على القيام بالواجب الذي يتشرف به الجموري، وغالبا ما كانت هذه الأغاني عاملا قويا في بث روح التمرد والثورة على المستعمر، والإقبال على محاربته من أجل النصر وتحرير الوطن أو نيل شرف الشهادة في سبيل الله، وتتوارد وتتداول بين الأعراش والقبائل مجهولة

---

[1]– علي غالم – لزهر غالم، أعلام وشيوخ من جمورة، دار علي بن زايد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط2، 2017، ج1، ص13–19.

[2] – انظر لزهر غالم رسائل من جمورة، دار علي بن زايد للطباعة والنشر، بسكرة .الجزائر، ص10– 62.

[3] – علي غالم – لزهر غالم : أعلام وشيوخ من جمورة، ص116 و 130.

[4] – جمع بعضها لزهر غالم في كتاب قصص وحكايات شعبية من جمورة، دار علي بن زايد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2017 وهي ست عشرة حكاية شائعة ومتداولة بين الأهالي.

المؤلف في الغالب الأعم، وكان جزءا منها يوجه إلى الأطفال لتربيتهم على مكارم الأخلاق والخلال الحميدة صيغت بأسلوب شعبي جذاب يستهوي قلوب وعواطف أولئك الأطفال الأبرياء، وقد عرف الجموريون بتعاملهم أيضا مع ضروب أخرى من الفنون الشعبية الشفوية الأخرى كالألغاز (الأحاجي) والأمثال والحكم، التي يشيع استعمالها وتداولها في التراث الشعبي الجزائري، غير أن الجموريين أخضعوا تلك النصوص إلى الصياغة اللهجية المحلية من ناحية وإقحام المسميات المحلية سواء أسماء الأماكن أم الأشخاص أم رموز البيئة المحلية المتعارف عليها بالمنطقة[1] من ناحية أخرى.

5 – قراءة في قصائد بعض شعراء جمورة :

5 4 قصيدة الشاعر علي غالم:

سنحاول تسليط الضوء على مخبوءات النصوص ودهاليزها المظلمة من خلال التوغل في بنيتها العميقة عبر بنيتها السطحية، فنجعلها دليلنا الذي يقودنا إلى المعاني والصور التي تفزرها ألفاظ وتراكيب لغوية يعول عليها الشاعر في إحداث المفاجأة والدهشة، ويراهن بوساطتها على إقناع المتلقي، وحمله على متابعة سرد الحكاية، وإشراكه في تبني الحقائق المتوصل إليها.

إن أول ما يلفت انتباه القارئ في النصوص، هو أن الشاعر علي غالم يسترفد نصه الجديد بالعودة إلى الماضي، فيقوم باسترجاع الأحداث التاريخية الجزائرية، التي صنع فيها جيل الثورة التحريرية البطولة والشجاعة، كما يقوم بالاستناد على عملية التأريخ بصياغة أحداث حقيقية وقعت فعليا، فببلدة جمورة بتاريخ 25 سبتمبر 1956، يروي علي غالم قصة واقعية تتضمنها قصيدته الموسومة: "هدية إلى فدائيي جبهة التحرير الوطني" فيحاكي دور الإعلامي الذي لم يكن موجودا في تلك الفترة، ويتخذ من الأسلوب السردي الحكائي منهجا في التعبير عن حيثيات الحدث، ويتقمص دور المؤرخ حيث يهتم خلال سرده للوقائع بربطها بالزمن والمكان اللذين وقعت فيهما، فتكون القصيدة بمثابة الوثيقة التاريخية التي يعتمد عليها في التحليل التاريخي ولولا أن الشاعر ذيل النص بذكر تاريخ إنشاده، وهو زمن متأخر جدا (2006.09.25) لما استطاع القارئ أن يكتشف بأنه نظم خارج زمن الثورة، أي أن الشاعر لم يكن معاينا للحدث، بل كان يمارس عملية استرجاع سردية، ومع ذلك فإن تماسك النص وانسجام ألفاظه وعباراته، يدل على الصدق الفني وحرارة العاطفة، كما يدل على ارتباط الشاعر الوثيق بثورته ووطنيته، ويؤشر إلى اعتزازه بالانتماء إليها، والمحافظة على ذلك العهد، مهما طال الزمن، والافتخار والإشادة بالأبطال الثوار والفدائيين المذكورين صراحة بأسمائهم وألقابهم، حتى تبقى ذكراهم خالدة لدى الأجيال على مر الزمان وللعظة والعبرة والتأسي وهذا لسان حاله يذكر ذلك:

اليوم نتذكر شباب أزمان البعض منهم ما زالوا حيين[2]

يتذكر الشاعر الشباب الجزائري في الزمان الماضي ملفتا انتباه الشباب في الزمان الحاضر، قاصدا إحياء الروح الوطنية لديهم وحاثا لهم على حب الوطن والدفاع عنه، مثل ما فعل الرعيل الأول حينما غادروا مقاعد الدراسة ولبوا نداء الواجب والالتحاق بالجبل، لمشاركة المجاهدين في الحرب ضد المستعمر حيث يقول:

---

[1] – لزهر غالم: مقتطفات من التراث الشفهي بمنطقة جمورة، دار زايد للطباعة والنشر، بسكرة، ط1، 2016، ص26–115، قام المؤلف: بجمع ما تيسر له من نصوص وصنفها حسب الحروف الهجائية.

[2] – علي غالم: قصيدة "هدية إلى فدائيي جبهة التحرير الوطني، مجلة التراث، جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد 16 فيفري 2009، دار قانة للنشر والتجليد، باتنة، الجزائر، ص159.

تركوا المدرسة ما باقي تعليم قصدوا جبل أوراس للمجاهدين
على الواجب والجهاد كانوا متفقين وانضموا للثـوار ضد المحتلـين[1]

يصطنع الشاعر مقدمة يستهل بها الدخول إلى الموضوع الرئيس في القصيدة، ويعتمد أسلوب إدهاش واستفزاز وامتحان صبر القارئ، إذ ينحو نحو القصيدة العربية القديمة من حيث التقديم للموضوع، لكنه يخالف المقدمة العربية المألوفة، حين اختار لنصه مضمون استهلال مناسب من ناحية وخالف أيضا أقرانه من شعراء الملحون، الذين يستهلون نصوصهم الشعرية عادة بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه من ناحية أخرى.

وبلغة الشاعر علي غالم العفوية التي لا تخلو من المتعة والسلاسة، وبأسلوبه المنحاز إلى الحكايـة أو القصة الشعبية، يشرع في تفصيل الحديث عن هؤلاء الثوار الفدائيين.

وصف الشخوص المذكورة في النص:

ينتشر ذكر أسماء شخصيات مختلفة في جسد القصيدة، كان الشاعر ذكرها على سبيـل التدقيق في وصف تفاصيل أو تفرعات الحدث، وإكساب نصه صفة الوثيقة التاريخية التي يعول عليها في إثبات الحقيقة الساطعة، وأثناء التسلسل السردي للحدث نكتشف أن أبطال الحكاية، كانوا يتقمصون شخصيات متخالفة، إذ تنوعت أوصافهم وصورهم إلى شخصيات إيجابية وأخرى سلبية، ولعل هذا التناقض الذي يدل –لامحالة– على تباين في الرؤية عند كلا الطرفين، نجم عنه توتر في الموقف وعمق وثراء في المشهد.

أ – الشخوص الإيجابية:

هم أولئك الثوار الفدائيون الجموريون الذين لم يكتف الشاعر بالإشارة أو الإماءة إليهم فحسب ثم يترك القارئ يواصل عملية التعرف عليهم، بل أنه ذكرهم بأسمائهم وألقابهم وبصفاتهم الشخصية وبأدوارهم الإيجابية في الحدث إذ كان كل منهم يحمل شحنات نفسية وعقلية تتصل بالجهاد والكفاح ضد المستعمر بشكـل منظم، وبشجـاعة قوية وبشغف لافت، لتحقيـق الحرية ومجـابهة الخونـة والمرتدين، الذين يعيقون سير الجهاد من أبناء جلدتهم، وفي مقدمة من ذكرهم من شخصيات جهادية مسئول المجموعة المتمركزة في منطقة تقع بالقرب من بسكرة شمالا أي عين التوتة، وهو عيسى معافي العقل المدبر و المصمم لخطة إلقاء القبض على الخائن المرتد، ذكر هذا في قوله:

نتذكر خمسة وعشرين سبتمبر من عـــام ستـة وخمسيـــــــن
مجموعة من الثوار والفدائيين في عين التوتة بالأوراس كانوا مجتمعين
قاموا بعمليـــــــة خطـف وتصفية واحـــــد من الخائنيـــن
عيسى معا في مسئـــول خطط للمرتـــد وحضر لوكمين
درس جميـــع القرارات والأوامر جاءت من عنـد المسؤولين[2]

---

[1] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] – المصدر السابق، الصفحة نفسها.

ورد مضمون الأبيات في شكل حماسي مفعم بعطاءات وجدانية جمة، لكنه لا يخلو من التعقل الذي يتطلبه الموقف المحتاج إلى رباطة جأش وتبصر بالوضع القائم وحسن التدبير، وقد ربطت الأبيات الشخصيات الفدائية المذكورة صراحة، بزمن ومكان معينين وقعت فيهما الحادثة، والتصريح بذلك في النص يبث فيه الحيوية، ويشكل عمر النص الشعري، ويجعل المتلقي يتفاعل ويتأثر بمضمونه، كما أن ذكر أسماء الفدائيين يبعث على الافتخار والاعتزاز ببطولتهم وحسن بلائهم وتضحيتهم بالدراسة، حين فضلوا الالتحاق بالمجاهدين في جبال الأوراس وتفضيل حمل السلاح على حمل القلم رغم حداثة سنهم، لأنهم علموا أن الجهاد فرض عين. هؤلاء الفدائيون ليسوا أشخاصا عاديين، إنهم ينتمون إلى أصول أسّس كيانها على التعلق بالوطن والتمسك بالعقيدة الإسلامية، ويتسلحون بالعلم الذي أنار لهم الطريق وهداهم إلى حمل أمانة الدفاع عن مقومات هويتهم، ونبذ الدخيل وأذنابه، هؤلاء هم:

– محمد الصغير غانم ينتمي إلى عرش أولاد زيان الذين حملوا راية الجهاد منذ القديم وتوارثوا الدفاع عن الوطن أبا عن جد.

– الصالح بن قوقة المنتمي هو أيضا إلى جمورة المجاهدة عرش التوابة الأصليين.

– صالح لعلى رفيقهما، انضم إلى المجموعة الفدائية وهو عضو معروف دائم الحضور والوفاء لانتمائه لها.

وإن ما يجمع الفدائيين الثلاثة هو قناعتهم وإيمانهم العميق بصدق مبادئهم وشرعية ثورتهم وعدالة قضيتهم، **"فتعاهدوا"**، تبدو جملة لغوية مكثفة في ظاهرها، لكنها ثرية وحبلى بالمعاني سواء المتواضع على اصطلاحها المعجمي، أي حسب المعاني الموضوعة لها في المعجم، أم المقاصد القرآنية المبثوثة في عدد من المواضع في كتاب الله الكريم، فتجعلها سلوكا قيميا ينسل من صلب الدين، الدال على المرجعية الدينية التي يحتكم إليها الفدائيون، والأساس الذي ينطلقون منه في كل أفعالهم، ويتخلقون بأخلاقه، هذه المعاني القيمية و الرؤيوية ترد في كل موضع مشددة على التعامل الجاد فيما بين المسلمين مع بعضهم، أو مع غيرهم بما يتعلق بالعهد أو بمعاملات أخر، إذ يعتبر المفسرون "كل ما أمر به الله سبحانه وتعالى وما نهى عنه فهو من العهد، سواء أكان في العبادة أم في المعاملة، مع الله أو مع خلقه" وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة في قوله تعالى:

"ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا"[1].

وقوله: "...**والموفون بعهدهم إذا عاهدوا...**"[2]، وقوله: "**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**"[3].

هذه الأبعاد المفاهيمية العقدية، تعكس الصورة الحقيقية للفدائي البسكري .. الجموري اللائذ بعقيدته، فتبث فيه روح الفداء وتضخ في دمه الشجاعة، وتزرع في قلبه الإيمان والصدق، فيكون خير نموذج للشخصية الفدائية الجزائرية المثقفة، التي زادها العلم يقينا والتوكل على الله ثباتا في درب الكفاح من أجل تحقيق النصر والحرية، ويشير الشاعر إلى هذه الصور والمعاني في قوله:

خرجـــوا على الله متكـلـين وانسمهـــم بسمـايهـم المعروفين
محمد الصغيـــر غانـــــم من أولاد زيـان الوطنيـــة والديـــن
الصالح بن قوقـــــــــة جمـــوري من التوابـة الأصليين
لعلى صالح يوم عرفنـــــاه عضـو مـن الأعضـاء الدايمـين[1]

---

[1] – سورة الإسراء، الآية 34.

[2] – سورة البقرة، الآية 177.

[3] – سورة المؤمنون، الآية 7.

ثم يواصل تدرجه في سرد حيثيات الحدث وتوصيف أبطال القصة قائلا:

محمـــــد الصغيـــر غـــــانم من الشباب بالثقافة والعلم امسلحين
رفقـــة الصـــالح بـــن قوقـــة تعاهدوا وامشـاو وللخـــاين قاصدين
استدرجوه بالشجاعة والإيمـــان عن أعيـــن الحركـــى والبيـــعيـــن[2]

ومن الصور التي تبرز في شخصية الفدائي البسكري .. الجموري أيضا، الالتزام بقرارات الجماعة والإصرار على تنفيذها بحذافيرها، مهما كلفه ذلك من صبر وتضحيـــة والسرعـــة في تلبيـــة نداء الواجب، وهذا ما يدل عليه قول الشاعر:

المسئـــول قـــرر أو قـــال العمليـــة تنفـــذ في الحيـــن
وإلقاء القبض على الخائن المرتد والمساند للمستعمرين[3]

إن تنفيذ قرار المسئول ذي الطبيعة الاستعجالية، يكتنفه كثير من الحيطة والحذر، مما يستوجب توفير الآليات المناسبة لسلامة وضمان تطبيقه في غفلة من أعين الخونـة، وإن أهم وأنسـب آلية هنـا هي السرية والتستر، هذا الخلق الأصيل هو الذي يمنح للفدائي الجموري صورة عن جانب مهم في سيرته وشخصيته المجسدة لطريقة تعامله مع الواقع، ويتجلى ذلك في تحاشي ذكر اسم الخائن المرتد المراد تنفيذ حكم الجماعة فيه على سبيل السريـــة والتستر، لأبعـــاد عدة يأتي في مقدمتهـا، تحلي الفدائي بخلـق من أخلاق الإسلام وهو الستر، المقصود منه الحفاظ على سمعة ومشاعر الأسرة التي ينتمي إليهـا الخائن، والحفاظ أيضا على التماسك الأسري وتأمين سلامة المجتمع من الأحقاد والضغائن والتشتت والتشرذم، وهو مقصد من مقاصد الإسلام والمجتمع الجزائري المحافظ، الغاية منه هي درأ المفسدة لجلب المصلحة وقد ورد ذلك في قوله تعالى: "**ولا تزر وازرة وزر أخرى**"[4]، ومبرر ذلك أيضا تأمين تحرك الفدائيين من الوقوع في عواقب قد تنجر على ذلك، ويبرر هذا أيضا عدم تمكين الخائن من الإفلات من القبض عليه، كما قد يكون لعدم إذاعة اسم الخائن بعد آخر، هو تعميم المصير الوخيم الذي ينتظر كل خائن لوطنه أو لقضية من قضايا الأمة المصيرية، وقد عودنا الشاعر علي غالم في قصيدته على ذكر أسماء أبطال الحكاية أو القصة التي يرويها لنا، فيكون بإغفاله المتعمد لاسم الخائن، يمنح النص بعدا فنيا يجعل القارئ متوترا أكثر ويحفزه على معرفة الحقيقة التي يرنو إليها الشاعر.

وهكذا يتبدى للمتلقي تعاطي الشخوص مع الحدث بكل روح إيجابية نابعة ممّـا اتصفـت به من أخلاق سامية متأصلة فيها، ومما اكتسبته من التعلم الذي حظيت به في دور العلم والمعرفة، فنجم عن ذلك التمسك بالهوية الوطنية والعربية الإسلامية، والتضحية دونها ضد مستعمر غاشم بمساعدة الخونة من أبناء الوطن (الحركى والبيعين).

ب – الشخوص السلبية:

تناولت القصيدة شخصين سلبيين تمركز حولهما الوصف في الرواية أحدهما هو فرنسا، ذكرها الشاعر بعدة أوصـاف تنطبق عليهـا، هي (المحتلين– المستعمرين– الأعداء– ديقول وكبار الضباط) وهي أوصاف متعارف عليها، تحمل الدلالة على حقيقة الوجود

---

[1] – علي غالم: قصيدة "هدية إلى فدائيي جبهة التحرير الوطني، مجلة التراث، العدد 16/فيفري 2009، ص159.

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – سورة فاطر، الآية 18.

الاستيطاني الفرنسي بالجزائر، فرنسا التي كانت تدعو زيفا في المحافل الدولية إلى ديمقراطية تنشر العدالة والأخوة والمساواة في العالم، وهي صفات لا تعبر عن هذه الحقيقة المعروفة في الجزائر والمستنكرة فيها.

وثانيهما هو الخائن البطل الرئيس أيضا في الحكاية، المشكل للوجه الثاني السلبي للفكرة أو الرؤية السائدة في نص القصيدة، حاول الشاعر إبرازه في صورة بشعة ممقوتة في ذهن القارئ مخالفة للأخلاق العربية والقيم الإسلامية المعروفة في المجتمع من أجل اكتساب تأييد المتلقي حيث وصفه بـ: (الخائن – المرتد – المساند للمستعمرين – الحركى– البيعين – الكبش اسمين – القومية) وهي صفات سلبية مكروهة لبشاعتها، وقد حاول الشاعر أن يستعين بالرمز في بعضها ليثير السخرية والشفقة في آن واحد، على الخائن الحائد عن طريق الحق والخارج عن الجماعة، وهو ما يوجب تصفيته ومعاملته كما يعامل المرتد الذي لم يرجع عن غيه، لذلك كان مصيره كما يقول الشاعر:

ألقـــاو القبـــض أعليـــه ربطـــوه من يديـه الاثـنـــين
يصرخ وينـادي يا لصـــاص أنقذني من الفلاقة قالـــوا فدائيين
ربطولوا فموا وعملولوا منديـل ساقوه للغابة مثل الكبـــش اسمين
العملية تمت في نصـف انهـــار والأعداء بوجبة الغداء منشغـلين
الأحكام واضحة ما فيها تخفيف قـاسيـــة على الحركى والبيـــعين
سلمـوه للجبهـة والمجـاهديـن المحكمة العسكرية واكبار المسئولين
الـــواد والسكـــين أمـعـــاه سهـــم القوميـــة والمرتديـــن[1]

وبالإضافة للشخصيات الرئيسة، يستعين الشاعر بشخوص أخراة ثانوية يكون القصد منها إكمال وإثراء المشهد، وهي إما المشكلة للحيز البشري في القصة مثل: المجاهدين – المسؤولين – الضمير "أنا" الدال على الراوي أو المشكلة للهيئات المعنوية مثل: الجبهة – المحكمة العسكرية، أو المشكلة للأمكنة المستوعبة للحدث، أو مسرح الحدث مثل: الأوراس وهو مصطلح استعمله الشعراء والكتاب على حد سواء، فتحول إلى رمز دال على القوة والثورة والتمرد والقلق والتوتر والانفراج... ومعان أخر يكثفها هذا اللفظ الثري بدلالته.

5 – 2– قصيدة: "الشهيد عمار غالم"

يستمر الشاعر علي غالم في سلوك المنهج السردي الحكائي الذي أشرنا إليه في النص السابق لإنجاز ترجمة شخصية للفدائي الثائر عمار غالم، فيتخذ من اسمه الشخصي ومن صفته المحببة في قلوب الجزائريين "الشهيد" عنوانا لقصيدته الثانية، فيكون هذا العنوان رغم سطحيته، ومن حيث قصد الشاعر أو لم يقصد، بمثابة العتبة المشكلة للبؤرة المركزية التي تتجمع حولها بقية أفكار النص، حيث يمكن للقارئ أن يدرك مسبقا محتوى النص ويسهل عليه التوغل فيه، لكن التخطيط لعملية القبض التي سبق اطلاع المتلقي عليها في النص السابق، لا يشبه التخطيط في هذا النص، كما لا تشبه الحيثيات المشكلة لفعل القبض فيه، لأن المقصود به لم يكن خائنا لوطنه ولا لقضيته، لذلك لن تكون بالتأكيد نتيجة فعلي الملاحقة اللذين تعرض لهما البطلان متحدة أو متشابهة، فالشخص الأول كان "خائنا"، "مرتدا" تنظر إليه الجماعة أو الطبقة التي ينتمون إليها جميعا (الشاعر– الخائن – الشهيد) المشكلة للضمير

[1] – علي غالم: قصيدة: هدية إلى فدائيي جبهة التحرير الوطني، مجلة التراث، ص159– 160.

الجمعي، بعين الازدراء والكره، أما الشخص الثاني فهو "الشهيد" الذي يكون دوما محل افتخار واعتزاز لدى جميع الناس ومبجلا في الدنيا كما في الآخرة، ولعل الشهيد عمار لم يبجله استشهاده فقط، بل قد اجتمعت في شخصه مجموعة من الخصال الحميدة أهلته لمحبة الناس والنظر إليه بعين الرضا، فأمثاله قليلون كما يصفه الشاعر علي غالم:

عمار غالم شهيد من أمثالو قليلة بن احمد بـن علي ومن أم أصيلـة
حفـظ القرآن في سـن صغيـرة في ثمانية وخمسين كاتـب في الإدارة[1]

تستهل القصيدة ذات الطبيعة السردية، بإبراز أهم الصفات التي يتصف بها عمار فتشكل لديه التميز والفرادة، وقد حاول الشاعر أن يصوره بطريقة إجمالية مركزة، الهدف منها هو لفت انتباه المتلقي وتحفيزه على معرفة بقية تفاصيل الترجمة المحكية المتكونة من عناصر البنية السردية (الحدث – الشخصيات – المكان – الزمن – الحوار...) ولعل ما يزيد في قيمة هذا النص، هو حسن بنائه بأسلوب مختزل طافحبالإدهاش والمفاجأة، بوصفه للتجربة الذاتية وتصوير عمق المعاناة الشخصية بحسن اختيار الألفاظ والتراكيب المعبرة عن مواقف الألم والقهر الذي تعرض له الشهيد رفقة أبيه، حيث نستشعر هذه الصور في قول الشاعر:

الخونة رصـدوه للأعـداء بـاعوه والعسكر في الليل اعمـل اتسركيـلة
قبض على ببـاه قالولـوا يا فلاقـة ابنك ويـن بايـت في هذا الليـلة
قال ابني امعايا اتفضل امشي احذايا في الغرفة ما وجدوه قال نديك انتايا
عمار ارجع للدار حافظ على ببـاه ألقاو القبض اعليـه الحراس احـذاه
كتفوه بسلاسـل واحبـال غليظة ضربوه عذبـوه عملـوا كل حيـلة
تمسك بالله قال انموت الموت الحـرة ولا معيشـة الذل تبقـي لي علـة[2]

بفحص هذه الأبيات نلاحظ أنها حبلى بالصور الإنسانية الظاهرة في تصرفات الابن وأبيه، وإن أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ، هو تلك التضحية المقدمة من قبل عمار اتجاه أبيه، وذلك الاحترام الصادق الذي يصل إلى مستوى التقديس، والتعلق الكبير أيضا بالوطن، والإيمان العميق بعدالة القضية وعدالة الله، وهو ما منح عمار القوة والشجاعة لاختيار الموت بدل المعيشة الذليلة التي ستظل تنغص عليه حياته ما بقي على طول المدى لو سلـك سبيل الذلـة، لكنه اختار طريـق العزة الذي لا يخلـو من المخاطر والعناء، وهذا ما يصوره الشاعر في قوله:

أكثر من شهرين في السيلون والظلـمة الاستعمـار ما عندو ديـن ولا رحمة
طالت المدة واطوالـت عليه وحـده حاول يفتح الباب بين انهـار وليـلة
قال في الصبـاح انشـوف حيـلة منتصف النهار افتح البـاب بالعقليـة
وجد خدامت لصاص ما معاهم قومية قال خذوني امعاكم شوفوا ما داروا فيه

---

[1] – علي غالم: قصيدة "الشهيد عمار غالم"، مخطوطة كانت بحوزة الزميلة الدكتورة فتيحة غزالي أستاذة الأدب العربي الحديث والمعاصر بقسم اللغة العربية. كلية الآداب والحضارة الإسلامية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، سلمت لنا في شهر نوفمبر 2019 تحتوي على واحد وعشرين بيتا.

[2] – المصدر نفسه.

خرج امعاهم وصلـــوه عين الصفيـــة قصد للدار وحدو أمو اجـرات سألاته
قالت ولدي طلقـوك في هذا القيـــالة قاللـهـا اهربـــت داروا فيـــا حالـة[1]

يبدو أن البطل عمار رجل مقاوم ومتمرد لا يعرف الاستسلام، وقد حرص على اقتفاء طريق الموت، فوهبت له الإقدام وأمدت له الحياة، كي يواصل السير في درب الشهادة مع إخوانه المجاهدين ببلدة قديلة، وكلف بعدة مهام في مساره الجهادي االفدائي (تسيير اللجنة – كاتب في القسمة – جمع الاشتراك) لمدة تفوق السنتين أبلى فيها بلاء حسنا يتناسب مع حداثة سنه، ثم قضى نحبه في رحاب الشهادة مع الشهداء و الصالحين، حيث نجد هذه المعاني منتشرة في أبيات المقطع الآتي:

المسبـــلين أبطـــال وأهـــل لزميـــة لحقـــوه للشرف درقـــوه للعشويـــة
جابوا بغلة ركبوه قصـــــدوا قديـــلة بات مع المجـاهدين في ذيك الليـلة
عاش مع المجاهدين واتعرف عنهم مدة عـاود ارجـــع للنضـــال كالعـــادة
مكلف بعدة مهـام في تسيير اللجنـــة مع المجـــاهدين كـاتب في القسمـة
أكثر من عـــامين هي مـدة جهـــاده ثلاثة وعشرين سنة في عمره وحيـاته
جـانفي واحد وستين حضرت المنيـــة قام بجمع الاشتراك صبـاح واعشيـة[2]

الواقع أن الصورة التي يمثلها الشهيد عمار غالم في هذه القصيدة، إنما هي تعبير عن نموذج ثوري فدائي من عدد هام لا يمكن حصره من الثائرين الجزائريين، الذين ساروا في طريق التضحية، وكانوا يعتقدون بأنه لا فرق بين المذلة والكفر فهما وجهـان لورقة واحـدة، فقدموا أرواحـهم فداء وقربانـا على مذبح الحرية، وأيقنوا أن "موت الجهاد خير من اللي حيين" كما قال الشاعر عبد القادر الوهراني منذ ما يزيد عن قرن أي سنة 1846 – كما أشرنا إلى ذلك سابقا – حيث بقيت صورة المستعمر البشعة واحدة لم تتغير، وبقيت صورة الفدائي الثائر المجاهد واحدة، هذا ما تلمسناه من حقائق وأفكار متمددة في أوصال القصيدة، عبر عنهـا الشاعر بأسلـوب أدبي قصصي جذاب يخلو من الإطنـــاب في الحوار الذي لا مبرر له.

5–3– قصيدة: "الشهيد محمد الطاهر قدوري"

يستهل علي غالم هذه القصيدة، بالتعريف المباشر بالشخصية المقصودة، دون اللجوء إلى المقدمة ولعله قد استعاض عن ذلك واكتفى بذكر الكلمة المفتاح في النص، المكونة للفكرة العامة وسبب تداعي الأفكـار الجزئية، التي تنســل منهـا أو تتوالد من رحمهـا وهي "الشهيـد" لفظـة تكرر ذكرهـا مرتين في النص، **واحدة في العنوان**، الذي يجد له وشائج متعالقة معه عبر تراكيب تضبط مستويات تلك الكلمة وسيرها من منظور السارد، ومن طبيعة الشخصية المركزية المقصودة بهـا (محمد الطاهر قدوري) من أجل "جلب انتباه القارئ أو السامع أو الشاهد إلى الموضوع"[3] وهي أهم وظائف العنوان لوجوده على رأس النص، ولدرجة تدخله في توجيه فضاء المتن، وبناء معنى الخطاب الشعري، كونه وسيلة الدخول إلى متن النص ومعرفة أسراره، وفعالية من فعاليات القراءة

[1] – المصدر السابق.
[2] – المصدر نفسه.
[3] – ياسر النصير: الاستهلال – فن البدايات في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1993/1، ص23.

من خلال قدرة القارئ على استثمار هذا الانتباه وتوظيفه في تفكيك محتوى المتن.

والأخرى في منتصف الشطر الأول من البيت الأول، ليؤكد للقارئ – المتلهف لمعرفة المزيد عن هذه الشخصية – أن المترجم له، ليس شهيدا عاديا من عامة الناس إنما هو ذائع الصيت، وشهرته تعم منطقة الأوراس، بسبب علو شأنه العسكري والنضالي من ناحية وعلو كعبه العلمي والمعرفي من ناحية ثانية، وتفضيله للجهاد على متابعة الدراسة من ناحية ثالثة، وهو ما يجعلنا نعتقد أن اختيار الشاعر لهذا النوع من المفاتيح النصية يمثل تنشيطا لذاكرة المتلقي وتهيئتها لفعل التلقي، لأنه في الحقيقة "ليس للمرء (للخطاب) في الوجود غير اسمه، من هنا تستمد التسمية خطرها وأهميتها"[1] كما يوضحه المقطع الآتي:

الطاهر قدوري شهيد الأوراس نعلمكم ضابط في جيش التحرير به انعرفكم
درس القرآن على يد شيوخ منهم بباه في المدرسة الشعبية كان يقرأ ويتعلم
في عام اثنين وخمسين سن الشباب قصد مدينة الجسور العالية والعلم
في قسنطينة ومعهد بن باديس درس عديد العلوم والشريعة أولهم
عام ستة وخمسين ساءت الأحوال توقف بعد ربعة سنين ما سلم
عاد لبلدة جمورة أرض الأجداد قصد بباه واملیه وانطلق من ثم
قال الجهاد فرضو رب العالمين ادعيو ليا وللمجاهدين رب ينصرهم
قصد جبال الأوراس الحصن الحصين الثقافة والعلم متسلح بيهم
انضم إلى صفوف جيش التحرير في جبل بني فرح مجاهدين يعرفهم[2]

يواصل الشاعر رصد مناقب الرجل ويرافع من أجل إثبات أحقيته بالصفة التي وصفه بها في استهلال القصيدة (شهيد الأوراس) ويقدم الحجج الدامغة التي لا موارية فيها، ويتخذ منها في الوقت ذاته، ذكره لتفاصيل حياته الجهادية وكثرة تنقله ما بين المناطق العسكرية والحربية داخل إقليم بسكرة وخارجها، وقيامه بالعديد من المهام الميدانية المتعلقة بالحرب ضد المستعمر، إذ يقول:

القنطرة عين التوتة وبو عريف تيفراسين والمحمل امشاهم ماخلاهم
مروانة بريكة وبلدة بيطام مقرة لمسيلة وانقاوس مجاهد ثم[3]

ويذكر أيضا مختلف المعارك التي خاضها رفقة كوكبة من المجاهدين، فيذكرهم بأسمائهم و المواقع التي شهدتها وتواريخها ويحاول من خلال رصده للمعارك أن يبين أن الضابط محمد الطاهر قدوري فرد من الشعب الجزائري الذي استفاق من وكدته وثاب إلى رشده، وشعر بوجوده كأمة لها كيانها القومي والوطني، الذي يميزه عن الكيان الاستعماري، واستعاد الثقة بنفسه، فنفض أسمال الجمود والركود على كاهله، وراح يلتف حول ثورته، ويشعلها حربا شعواء في كل أنحاء الوطن، موقنا أن الحرية لا يمكن تعويضها بالاندماج مع الآخر، فكان صموده في المعارك وتضحيته، تعبيرا صادقا عن حبه الدفين لوطنه وتعلقه بالعزة والكرامة، ورفضه لكل أشكال

---

[1] – محمد لطفي اليوسفي: فتنة المتخيل (الكتابة ونداء الأقاصي) ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان 2002، ص340.

[2] – علي غالم: قصيدة: الشهيد محمد الطاهر قدوري، مخطوطة سلمت لنا من قبل الدكتورة فتيحة غزالي في شهر نوفمبر 2019.

[3] – المصدر نفسه.

الاضطهاد بكل استبسال وبطولة[1] حيث نستشف هذه المعاني والصور القائمة بشخص الشهيد من خلال قوله:

ضابط في ميدان الإعلام والأخبـــار خاض عديد المعـــارك البعض نذكرهـــم
أحداعش أكتوبر سبعـــــة وخمسين معركة توقيـــقـــت لو جـــات تتكلـــم
قـــــادهـــا عبد الحميـــد بـــورزق عبد القادر سبع، وسعيد معيوف معاهم
محمد الصالح يحياوي، علي بربـــاش مع مئتين مجـــاهد التاريـــــخ سجلهـــم
معركة جبل أرفاعة قليل من يعرفهم سبعة سبتمبر ثمانية وخمسين نعلمهـــم
قادها محمد الصـــــالح بلعبـــــاس مائة وستين مجاهد كان مسؤول أمعاهم[2]

ثم يؤكد الشاعر في ختام قصيدته، أن الشهيد الطاهر قدوري، جعل الدنيا وكل بهارجها وراء ظهره، وتخلى عن الفرص التي أتيحت له لكي يحسن وضعه العلمي بخارج الوطن وهو طموح كل متعلم لكنه فضل الدفاع عن وطنه والكفاح لنصرته واختار الشهـادة فنالها، فحق له أن يكـــون في النعيم المقيم، وبمثله تتفاخر الأجيال.

الطاهر قدوري من شبـاب الأوراس ترك عديد الرسائل في المتاحف تلقـاهم
كانت ليه الفرصة في عدة مـــرات باش إيواصل الدراسة في الخارج قاللهم[3]

الخلاصة:

دأب الشعر الشعبي (الملحون) على مرافقة المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجزائر منذ بداية وجوده، كما كان حضوره قويا في متابعة أحداث ثورة التحرير، فكان معبرا أمينا و صادقا في تصوير حياة القهر والبؤس والشقاء، التي ذاق منها الشعب الجزائري الأمرين، ودون الآلام والأحزان التي كانت تطبع الحياة الاجتماعية، فتنشر الظلام والسواد في الآفاق، واضطلع الشاعر بحمل رسالة تسليط الضوء على هذا الواقع البائس، ونقل صوره وحقائقه لكل المتلقين من قريب أو من بعيد، مضفيا عليها حرارة عواطفه وخلجات وجدانه، ولم يتوان الشاعر أيضا في تصوير ونقل وقائع وأخبـــار الأدوار البطوليـــة التي يقوم بها المجاهدون في ساح الوغى، للرد العنيف على المستعمر وإفشال مخططـــاته وتشتيـــت طاقاته، وكان الشاعر وهو يقوم بمهمته الإبداعية بالدرجة الأولى، يعايش الحدث واللحظة بكل أحاسيسه وحواسه، لذلك نجده جنديا أحيانا في صفوف المقاتلين يجمع مع حرارة الكلمة حرارة الذود الجهادي عن الوطن، ويكون أحيانا أخرى موجها فيلهب المشاعر ويوقظ الهمم ويشحذ العزائم من أجل التصدي للغاصب الكافر وحماية الهوية، ونجده وهو يمارس دوره الريادي بمختلف مواقفه وإسهاماته يسجل افتخاره واعتزازه بعظمة الثورة، ويقدم صورا حية عن حسن بلاء وشجاعة المجاهدين والفدائيين في قلب الأحداث، لكن تسجيل هذه العظمة وهذه الفضائل التي كان لها كبير الأثر في نفوس الجزائريين بالداخل وفي الخارج لدى الأمم الأخـراة، عندما صـارت نموذجا يحتذى لكل المضطهـدين والأحرار في العالم، فإن صداها ووهجها بقيا يغريـان بصفة مستمـرة الشعـراء في كل زمـان ومكـان بالبـوح عن مكنوناتهم ومشاعرهم الفياضة

---

[1] – التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، ص124.

[2] – علي غالم: قصيدة الشهيد محمد الطاهر قدوري المخطوطة.

[3] – المصدر نفسه.

نحوها، والإفصاح عن أسرارها وأخبارها وأخبار صناعها من المجاهدين والفدائيين والشهداء التي ظلت متوارية أو مسكوتا عنها... إلى يومنا هذا، والشاعر علي غالم أحد هؤلاء الشعراء الذين افتتنوا بالثورة، ولازالت صورها التي عايش بعضها، وهو لم يتعد سن الحادية عشرة بعد، منقوشة في ذهنه و قابعة في ذاكرته، فتصدر دفقا شعريا مرهف الحس وملتهب المشاعر كلما عنّ له ذلك، يجعلنا نعيش الحدث وكأنه وليد اللحظة.

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

1 – التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945م)، ش.و.ن.ت.الجزائر، 1983، ص62.

2 – عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ط1، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م، ص326-327.

3 – عبد المالك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2003، ج1، ص85.

4 – عبد القادر الوهراني: قصيدة دخول الفرنسيس، مجلة آمال العدد4، نوفمبر، ديسمبر، 1969 الجزائر، ص74.

5 – انظر عبد القادر خليفي: الشعر الشعبي البطولي ودوره في وحدة المجتمع الجزائري، أعمال الملتقى الوطني الموسوم: مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية. تيارت 13 – 14 أكتوبر 2002، إصدارات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص147.

6 – انظر جلول يلس – الحفناوي أمقران: المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، ش.و.ن.ت، الجزائر 1975، ص17.

7 – أحمد أمين : صورة مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري، دار الحكمة، الجزائر 2007، ص111.

8 – جلول مكي: تطور ولاية باتنة مابين 1962و1978، مجلة الأصالة، عدد 88،87/1980، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ص115.

9 – العربي دحو: الشعر الشعبي في الجزائر: النشأة، المضمون، البناء، مطبعة نوميديا، ط2015/3 قسنطينة. الجزائر، ص22.

10 – علي غالم – لزهر غالم، أعلام وشيوخ من جمورة، دار علي بن زايد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط2، 2017، ج1، ص13-19.

11 – انظر لزهر غالم رسائل من جمورة، دار علي بن زايد للطباعة والنشر، بسكرة .الجزائر، ص10- 62.

12 – لزهر غالم في كتاب قصص وحكايات شعبية من جمورة، دار علي بن زايد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2017 .

13 – لزهر غالم: مقتطفات من التراث الشفهي بمنطقة جمورة، دار زايد للطباعة والنشر، بسكرة، ط1، 2016، ص26-115.

14 – علي غالم: قصيدة "هدية إلى فدائيي جبهة التحرير الوطني، مجلة التراث، جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد 16 فيفري 2009، دار قانة للنشر والتجليد، باتنة، الجزائر، ص159.

15 – علي غالم: قصيدة "الشهيد عمار غالم"، مخطوطة كانت بحوزة الزميلة الدكتورة فتيحة غزالي أستاذة الأدب العربي الحديث والمعاصر بقسم اللغة العربية. كلية الآداب والحضارة الإسلامية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، سلمت لنا في شهر نوفمبر 2019 تحتوي على واحد وعشرين بيتا.

16 – ياسر النصير: الاستهلال – فن البدايات في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1/1993، ص23.

17 – محمد لطفي اليوسفي: فتنة المتخيل (الكتابة ونداء الأقاصي) ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان 2002، ص340.

18 – علي غالم: قصيدة: الشهيد محمد الطاهر قدوري، مخطوطة سلمت لنا من قبل الدكتورة فتيحة غزالي في شهر نوفمبر 2019.